مدى تمثّل اللسانيين في الجزائر للسانيات الغربية، وتقديمها للقارئ العربي
- عبد الرحمان حاج صالح أنموذجا-

The perception of linguists in Algeria of Western linguistics and presenting it to the Arab reader- Abd al-Rahman Hajj Salih as a model-

خديجة بصول-khadidja.bessoul@gmail.com
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة
أ د صالح خديش–lissaniat@yahoo.fr
جامعة عباس لغرور، خنشلة

تاريخ الاستلام: 2020/12/01 تاريخ القبول:2020/12/05 تاريخ النشر:2021/01/01

ملخص:
يسعى هذا المقال إلى معرفة مدى تمثّل عبد الرحمان حاج صالح للسانيات الغربية، وكيفية تقديمها للقارئ العربي، وبيان منطلق الكتابة اللسانية التمهيدية عنده، والغاية التعليمية التي يروم إيصالها إلى القارئ العربي.
هذا اللسانيُّ الأصيل الذي حاول تقديم اللسانيات وفق منهج نقدي تعليمي(تيسيري)، رَبَط فيه بين المنجز اللغوي العربي القديم، والفكر اللساني المعاصر، فكان بذلك ذا اتجاه توفيقي بمرجعيّته المزدوجة.
كلمات مفتاحية: تمثّل- عبد الرحمان حاج صالح- اللسانيات- الغربية- القارئ- العربي.

Abstract:
In this article, we try to know how far Abdul Rahman Al-Hajj Saleh represents the western linguistics, how he presented it to the Arab reader, elucidate the premise of his introductory linguistic writing, and show the educational purpose that he aims to communicate it to the Arab reader.
He is an authentic linguist who tried to present linguistics according to a critical educational approach (an easy one). Within it, he linked the ancient achieved Arab linguistic and the contemporary linguistic thought; so thus, he has a compromising way with a dual reference.
Keywords: perception, Abd al-Rahman Hajj Salih, linguistics, Western, reader Arab.

1. مقدمة:

إنّ الكتابات التمهيدية للباحثين العرب حول اللسانيات الغربية كثيرة ومتنوعة، فقد أوْلوها عناية خاصة، فدرسوا مبادئها وسبروا مناهجها، فمنهم من اهتم بترجمة ما جدّ في الساحة اللسانية الغربية ليستفيد منها القارئ العربي المبتدئ، ومنهم من حاول إسقاطها على المنجز اللغوي العربي القديم، محاولا العثور على الإرهاصات الأولى لها في موروثه. وقد لوحظ على بعض الكتابات الانبهار بهذا الوافد الجديد(اللسانيات) والتنقص لما جادت به قرائح علماء العربية الأفذاذ، بدعوى عدم خضوعهم للعلمية وابتعادهم عن الموضوعية والدّقّة المنهجية، ومنهم من رفض كل جديد وجعل التراث اللغوي العربي طوقا قيّد به كتاباته، فلا يبغي عنه حولا، ولا يرضى بغيره بدلا.

وقد ظهرت في الجزائر كتابات عبد الرحمان حاج صالح، التي تميّزت بجنوحها إلى البحث عن المعلومة الصحيحة، قديما كان مصدرها أم حديثا، شرقية كانت أم غربية وقد تميّزت بحوثه بالإنصاف، و عدم الاستنكاف عن الإدلاء بشهادات معرفية صادقة مدعومة بالأدلة العلمية، والحجج المنطقية. وقد أحدث بذلك هزّة معرفية، لم يسبق للوسط اللساني العربي عموما، والجزائري خصوصا أن شهد مثلها؛ ذلك أنّه انطلق من مرجعية مزدوجة تمثّلت في فحص عميق، وقراءة متأنّية واعية لمصادر الإرث اللغوي العربي، وفهم ثاقب لكل ما أنتجته العقول اللسانية الغربية.

فما مدى تمثّل عبد الرحمان حاج صالح للسانيات الغربية؟ وكيف قدّمها للقارئ العربي؟ وسعيا في فكّ هذين الإشكالين فإنّ البحث انطلق من فرضيّتين:

أولاهما: أنّ هناك قصورا في تبنّي عبد الرحمان حاج صالح للسانيات الغربية، وفي تقريبها للقارئ العربي، كما أنّه لم ينتبه للأغلاط المعرفية التي وقع فيها منظروها، فتبنّاها ونقلها إلى المتلقي العربي، وبهذا يعدّ مجانبا للغاية التعليمية.

ثانيهما: أنّ عبد الرحمان حاج صالح كان ذا رؤية سديدة في تمثّله للسانيات الغربية، وفي تقديمها للقارئ العربي بعد فحصها وتمحيصها تمحيصا علميا دقيقا، وقد حقّق الغاية التعليمية التيسيرية التي ترومها اللسانيات التمهيدية.

وفي هذا البحث تجليةٌ لطريقة تعامل عبد الرحمان حاج صالح مع النظريات اللسانية الحديثة، وكيفية عرضها وشرحها للمتلقّي العربي المبتدئ، وقد تركّز البحث على العناصر التالية:

أولا: منطلق الدراسة اللسانية عند عبد الرحمان حاج صالح.

ثانيا: الغاية التعليمية عند عبد الرحمان حاج صالح.

ثالثا: مدى تمثّل عبد الرحمان حاج صالح للسانيات الغربية ، وطريقة تقديمها للقارئ العربي، وفق هذا التفصيل:

1. مدى تمثّل عبد الرحمان حاج صالح للسانيات البنيوية، وطريقة تقديمها للقارئ العربي.

2. مدى تمثّل عبد الرحمان حاج صالح للسانيات التوليدية التحويلية، وطريقة تقديمها للقارئ العربي.

3. مدى تمثّل عبد الرحمان حاج صالح للسانيات البراجماتية، وطريقة تقديمها للقارئ العربي.

2. منطلق الدراسة اللسانية عند عبد الرحمان حاج صالح:

استطاع الباحث عبد الرحمان حاج صالح أن يُحدث نقلة علمية في حقل المعرفة اللسانية، إذ امتاز بدوام التحصيل وسعة الاطلاع، فكان متشبعا من التراث اللغوي العربي والأريسطي، وبالغَ الاهتمام بالنظريات اللسانية الحديثة، ثم نقل للقارئ العربي عصارة ما امتزج لديه من معارف مستقاةٍ من المصدرين السابقين، وبذلك مثّل طائفة من اللسانيين الذين جعلوا :" ... العلم المؤيّد بالدليل، قديما كان أم حديثا منطلقا لها، فلم تستصغر القديم، ولم تعظّم الحديث، بل حاولت فتح باب الاستفادة من كليهما، جاعلة منطلقها المنجز التراثي اللغوي لعلميته"[1]

وقد بلور أفكاره اللسانية في مجموعة من الكتب والمقالات، منها بحوث ودراسات في علوم اللسان، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، الخطاب والتخاطب في نظرية الوضع

والاستعمال العربية، وغيرها، وتُوجت جهوده باستخلاصه لنظرية لسانية قديمة في مفاهيمها، جديدة في آلياتها الإجرائية سمّاها النظرية الخليلية الحديثة: " فانبنت هذه النظرية أساسا على إعادة إحياء الفكر اللغوي التراثي، خاصة ما تركه سيبويه وشيوخه، وذلك بتحليله بما توصّلت إليه اللسانيات الغربية، فكانت غاية هذه النظرية: التعريف بالنزعة التي تصف نفسها بأنها امتداد منتقى للآراء والنظريات التي أثبتها النحاة العرب الأولون، وخاصة الخليل بن أحمد، وفي الوقت نفسه مشاركة ومساهمة للبحث اللساني في أحدث صوره"[2]

ولقد جانب الصواب وأخطأ الهدف صاحب كتاب:" اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة- دراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقي وإشكالاته-" بتصنيفه للكتابة اللسانية التمهيدية عند عبد الرحمان حاج صالح ضمن لسانيات التراث، التي تندرج تحتها ثلاثة مراتب من القراءة وهي:

- القراءة القطاعية.
- القراءة الشمولية.
- وقراءة النموذج الواحد.[3]

وقد جعل صاحب الكتاب المذكور القراءة التي انطلق منها عبد الرحمان حاج صالح هي: قراءة النموذج الواحد والتي يقصد بها:" دراسة شخصية لغوية عربية قديمة يدرس فكرها اللغوي وطريقة تصوّها، وكيفية تناولها لقضايا اللغة العربية في مجال من مجالات البحث اللغوي."[4]

والصواب أنّ حاج صالح لم يدرس فكر الخليل وحده، فقد صرّح صاحب النظرية الخليلية بأنّها:" سميت هكذا بالتغليب؛ لأنّ الخليل- رحمه الله- وإن كان هو العماد فيها إلا أنه قد أخذ كثيرا عن شيوخه، ثم إنّ سيبويه لم يكن من المقلّدين أبدا، بل أثرى هذه النظرية هو ومن جاء بعده، كالأخفش والمازني، ولاسيما مدرسة ابن السراج، مثل أبي علي، والرماني، والسيرافي، والزجاجي، ثم ابن جني، وبعدهم بكثير الرضي الاسترابادي (من أرصن العلماء وأكثرهم أصالة وهو جاء في زمانه)"[5]

وهذا نص صريح وواضح من عبد الرحمان حاج صالح، يبين فيه أنه لم يعتمد في بنائه النظرية الخليلية الحديثة على قراءة: " النموذج الواحد" كما وصفه منتقد الكتابة اللسانية التمهيدية في الثقافة العربية.

كما بيّن حاج صالح بأنه ليس من لسانيّي التراث، وأنه اتخذ نزعة وسطية تنطلق من القديم، وتأخذ من الحديث، حيث يقول:" وأما مكانة هذه النزعة من النزعات الأخرى في العالم العربي، فهي تتوسط في اعتقادنا بين اتجاهين: بين اتجاهٍ يتجاهل تماما أو إلى حدّ بعيد اللسانيات الحديثة، ويعتمد أساسا على المفاهيم اللغوية التي تبلورت- كما قلنا- عند المتأخرين، ويخلط أصحابُه بين المفاهيم العربية الأصيلة، ومفاهيم هؤلاء المتأخرين. واتجاه آخر يتجاهل تماما أو إلى حدّ ما التراث العربي أو يجعل مثل الاتجاه الأول كل التراث واحدا"[6]

3. الغاية التعليمية عند عبد الرحمان حاج صالح:

تسعى الكتابة اللسانية التمهيدية إلى تعليم القارئ المبتدئ بما جدّ من تطوّر في الدرس اللغوي الغربي:" فالكتابة التمهيدية (أو التيسيرية)، طريقة في التأليف لا يمكن لأيّ عِلم أن يَذيع وينتشر بدونها؛ لذلك من الطبيعي أن يشكّل هذا النوع من التأليف أحد الاهتمامات الأساسية لنشر العلوم، وتقريبها إلى القراء ... وتشكل الغاية التعليمية الهدفَ الذي تروم تحقيقَه اللسانياتُ التمهيدية"[7]

وتستند الغاية التعليمية للكتابة التمهيدية عند عبد الرحمان حاج صالح إلى الوظيفة المرجعية (المركّزة على الموضوع): " وهدف هذه الوظيفة المرجعية الإحالية هي تعيين موضوع الكتاب، وتحديد غاياته، فتشكّل هذه الوظيفة بذلك نوعا من التعاقد بين المؤلف والقارئ"[8]، وتؤدّي الكتابة اللسانية لعبد الرحمان حاج صالح هذه الوظيفة، وهذا ما نطقت به عناوين بحوثه التي حملت على عاتقها تقريب اللسانيات الغربية، وتلقينها للقارئ العربي:

- مدخل إلى علم اللسان الحديث- نشأته وتطوّره-.

- مدخل إلى علم اللسان الحديث- القرن التاسع عشر، والنصف الأول من القرن العشرين- .

- مدخل إلى علم اللسان الحديث- تحليل ونقد لأهم مفاهيمه ومناهجه-، وقد تحدّث عبد الرحمان حاج صالح في مقدمة هذا البحث عن الأسباب التي دعته إلى القيام بهذا النوع من الدراسات، ومن بين الأسباب إغفالُ الكتب التعليمية للسانيات الغربية: " النقائصَ والأخطاء التي احتوت عليها الآراء والنظريات الأوربية، القديمة منها والحديثة، إذ قد تكون الأخطاء القديمة صعبة الزوال، خصوصا إذا علقت بأذهان المتطرفين من المحافظين الأوربيين، فإذا تسرّبت هذه الآراء غير الصائبة في المؤلفات الموجّهة إلى من يجهل كل شيء عن حقيقة هذه الأمور، ولم ينظر فيها النظرَ الصحيح، ولم تمحَّص تمحيصا، كان الضرر أعظم وأجسم."[9]

وقد أوقعت هذه الكتابات القارئ العربي في الكثير من اللَّبس، مما أدّى إلى صعوبة فهم الدرس اللساني الغربي الحديث، وقد صرّح بذلك قائلا: " إنّ أحد الأسباب التي دفعتنا إلى كتابة هذا التحليل يرجع إلى شعورنا وشعور كل من ألَمَّ بشيء من هذا الفنّ، بالفراغ المهول الذي يوجد الآن في صلب الدراسات العربية المتعلّقة بعلم اللسان البشري العام فإنّ الجهل المخيّم الآن على المثقّفين في البلاد العربية، بالإضافة إلى هذه الفنون من المعرفة، يكاد يكون شاملا، والفراغ المذكور يكاد يكون " خلاء مطلق" على حدّ تعبير الفيزيائيين."[10]

إنّ الفراغ الذي تحدّث عنه عبد الرحمان حاج صالح ليس فراغا كمّيّا، وإنما هو فراغ نوعي؛ لأنّ أغلب الكتابات اللسانية التيسيرية التي قصدت تقريب اللسانيات الغربية لم تفلح في ذلك، مما أحدث خلطا وارتباكا عند المتلقين، فقد:" حاول بعض الباحثين تعريف ال linguistics للقراء العرب، فألّفوا لذلك كتبا تتفاوت قيمتها بحسب مقدرة كل مؤلف في إدراك المفاهيم الجديدة (أو ما يبدو أنه جديد)... ويتصف الكثير منها بصفات غير محمودة: الأولى أنّ مؤلفيها – إلا القليل منهم- ليسوا من فرسان الميدان، فأكثرهم تخصّصوا في علم الاجتماع، أو علم النفس، أو تاريخ الأدب، أو عدة مواد كالأدب واللغة

وغير ذلك. وقلّ مَن تخصّص (بكل ما يدل عليه اللفظ من معنى) في علم اللسان البشري."[11]

4. مدى تمثّل عبد الرحمان حاج صالح للسانيات الغربية، وطريقة تقديمها للقارئ العربي:

اعتمد الأستاذ حاج صالح في تقديمه للسانيات الغربية على مرجعية مزدوجة، وذلك بالمزاوجة بين ما هو تراثي وما هو حديث، وبهذا تكون نظرته للسانيات الغربية نظرةً : "مخالفة سديدة لما ذهب إليه كثير من اللسانيين العرب، الذين أَلِفوا النظرة الإسقاطية التجزيئية لما تمّ التوصل إليه في الدرس اللساني الغربي، على ما هو موجود في المنجز اللغوي العربي (من ذكر مواطن الاختلاف، ووصفها بعدم العلمية)، حاول حاج صالح إجراء نظرة إسقاطية كلية، بالأخذ بعين الاعتبار بمواطن التوافق والاختلاف على حدّ سواء."[12] ، كما عمَد إلى المقارنة بين النظرية الخليلية الحديثة، والنظريات الغربية: البنيوية، والوظيفية، والتوليدية التحويلية، والتداولية.

4. 1مدى تمثّل عبد الرحمان حاج صالح للسانيات البنيوية، وطريقة تقديمها للقارئ العربي:

رفض الأستاذ حاج صالح التقليد بجميع صوره، ودعا إلى الأصالة والاتباع المبني على التفكر والنظر، ويظهر هذا في تقديمه ونقده لمبادئ النظرية البنيوية، فجمع بين الغاية التعليمية، والمنهج النقدي: " إذ لم يكتف بما تداول في الكتابات اللسانية العربية، التي كانت تهدف في جوهرها إلى تقديم اللسانيات للقارئ العربي وفق منهج تعليمي خالص، بل توسّل بأصول نقدية حاول من خلالها تقديم اللسانيات للباحث العربي، فجمع إذ ذاك بين التيسير والنقد المنهجي."[13] ، فاستخلص نقاط القوة والضعف، وأوجه التوافق والاختلاف.

اللغة والكلام في مقابل الوضع والاستعمال:

وبفضل القراءة الواعية للتراث اللغوي العربي، والفهم الواسع والعميق للسانيات البنيوية، استنبط أوجه التكافؤ بين الثنائية السوسورية (لغة/ كلام)، والثنائية الخليلية (وضع/ استعمال)، وهو ما وضّحه في بحثه الموسوم ب:" الوضع والاستعمال عند العرب، واللغة والكلام عند دو سوسور وغيره"، أنّ التقابل الذي قدّمه دو سوسور للغة والكلام يكافئ تماما ما أقامه النحاة العرب بين الوضع والاستعمال؛ فقد فرّقوا بين ما سمَّوه بوضع اللغة، وبين الاستعمال مثل سوسور.[14]

فاللغة عند دو سوسور:" نتاج احتماعي لملكة اللسان، ومجموعة من التقاليد الضرورية التي تبنّاها مجتمع ما، ليساعد أفراده على ممارسة هذه الملكة."[15]

أما الكلام عنده (دو سوسور) :" فعلى العكس من ذلك، فعل فردي، وهو عقلي مقصود."[16]

وقد استنتج حاج صالح أنّ : " مفهوم الوضع أو التواضع عند العرب فهو نفس التواضع الذي تكلّم عنه دو سوسور، وهو اصطلاح التخاطب ...أما الكلام والخطاب، فاهتمام العلماء العرب به كبير جدا خلافا لسوسور."[17] الذي أقصاه من الدراسة.

ثم بيّن عبد الرحمان حاج صالح الاختلاف الإبستيمولوجي، الذي بنى عليه وضع اللغة: " فالنظرة السوسورية تؤكد على الجانب التبايني لأدلة اللغة، فقد ألحّ سوسور على ذلك بحيث توصّل إلى أن يقول:" لا توجد في اللغة إلا الاختلافات"، أما العرب فلا يحصرونه في الأدلة، وبالاكتفاء كما فعل سوسور، بمقياس الصفات الذاتية، بل يتجاوزون ذلك إلى البنية أيّا كان مستوى اللغة."[18]

كما لَحَظَ عبد الرحمان حاج صالح الخلط والارتباك الذي وقع فيه سوسور أثناء تقسيمه لثنائية اللغة/ الكلام: " في جعل الجملة موضوعا يدخل في دراسة اللغة، فقد صرّح أنّه ليس متيقّنا بأنها من ميدان الكلام أي الاستعمال، وقد كان يميل أن يجعلها من ظواهر النحو، ولم يتفطّن إلى أنّ بنيتها خاضعة لوضع اللغة بدلالتها على معان، وأنّ استعمال هذه البنية أي اختيارها من بين البنى و"الاتساع" فيها هو الذي يرجع إلى

الخطاب، فهذا يبين أنّ ماهية التقابل بين اللغة والكلام،لم تتضح بعد تصوّرها، ولم تأخذ البعد العميق الذي يمثّله عند العرب لا عنده، ولا عند من جاء بعده."[19]

ثنائية الدال والمدلول بين سوسور واللغويين العرب:

لقد تفطّن العرب القدامى للعلاقة الاعتباطية بين الدال والمدلول، فتحدّثوا عن: " مشاكل العلاقة القائمة بين المدلولات والأشياء المدلول عليها، وتفطّن أكثرهم إلى أنّ المعاني التي تدل عليها ألفاظها بالوضع ليست تابعة مباشرة للأشياء المدلول عليها، فرأيهم في ذلك هو نفس رأي سوسور في زماننا "[20]، ففي كتاب علم اللغة العام يقول:" الدليل اللغوي الذي يربط لا الشيء باسمه بل مفهوما بصورة صوتية"[21]، فالعلاقة بين الشيء واللفظ الدال عليه عند اللغويين العرب القدامى وعند سوسور:" تثبت دائما بواسطة، وهي الصورة الذهنية التي يحدثها الإدراك (الصحيح والخاطئ) للشيء، والتي تثير في ذهن المتكلم اللفظ المرتبط بها ارتباطا اعتباطيا، وبالعكس: لا يمكن للفظ أن يثير في ذهن السامع إلا الصورة التي يرتبط بها عادة في لغة هذا السامع، فالمعنى إذا منوط قبل كل شيء بالتصور الذي قد يكون خاصا، أو بالجماعة التي ينتمي إليها هذا الشخص."[22]

نظام المتقابلات عند البنيويين:

وانتقد عبد الرحمان حاج صالح اعتماد دو سوسور وأتباعه على نظام التقابل المحض من أجل التمييز بين عناصر المستوى الواحد؛ حيث يرون النظام كله وليد الوظيفة التمييزية.[23]

فالوحدات اللسانية عند البنيويين تكتسب قيمتها بمقابلتها بوحدات لسانية أخرى مماثلة لها في نظام لغوي معين، فكان منهجهم في التمييز بين مستويات اللغة هو اعتمادهم على التقطيع والتقابل والاستبدال :" فقد انتقدت حلقة براغ وأتباعها الاقتصار على هذه الصفات المميزة، وما يترتّب على ذلك من الاقتصار السيئ على نوع واحد من العلاقات، هي اندراج الشيء في الشيء (ما له علاقة بذلك مثل التقاطع)، وترك العلاقات غير الاندراجية

مثل حمل الشيء على نظيره، فهذا الحمل وهو عربي صميم هو في الحقيقة تركيب وبناء"[24].

ومما يلحظ على طريقة تقديمه للسانيات الغربية: جمعه بين النقد الموضوعي، والوصف العلمي، حتى يبيّن للقارئ العربي الهَنات التي وقع فيها التصور السوسوري للسانيات، كما غلب على كتابات عبد الرحمان حاج صالح الطابع التعليمي التيسيري لمبادئ البنيوية وهذا باعتماده الشرحَ والتمثيل والتعليل المبنيَّ على أسس علمية ومنطقية.

4. 2 مدى تمثّل عبد الرحمان حاج صالح للنظرية التوليدية التحويلية، وطريقة تقديمها للقارئ العربي:

انتقد عبد الرحمان حاج صالح التوليديين في تحليلهم للجملة، على افتراض أنّها تتكوّن من مكوّنين كبيرين (مركب اسمي، ومركب فعلي)، فعدّ مفهوم الجملة بدون تحديد، وافتراض انقسامها بدون دليل في البداية هو تحكّم محض بخلاف النحاة العرب المتقدمين؛ فإنهم لا يفترضون شيئا، بل ينطلقون من واقع اللفظ وواقع الخطاب في الوقت نفسه[25].

ولا يقف عبد الرحمان حاج صالح عند حدود هذه الانتقادات الجريئة المتعلّقة بتحليل الجمل عند التوليديين، بل سعى إلى تبيان قصورهم في التحويل الذي هو أساس النظرية التوليدية التحويلية. فصحيح أنّ تشومسكي أعاد لمفهوم التحويل قيمته ودوره في تفسير بعض الظواهر اللغوية، مثل المبني للمجهول، وبعض التراكيب التي تتعدّد فيها الدلالة، إلا أنّه اهتم بنوع واحد من التحويلات، وهي التحويلات التقديرية المتعلّقة بالبنية العميقة، والبنية السطحية، وهذا النوع من التحويل له نظير في النظرية العربية[26].

أما النحاة العرب فقد كانت نظرتهم مختلفة عن التوليديين حول التحويل؛ فهم لا يلجؤون إلى التحويل إلا إذا حدثت مخالفة للأصل؛ حيث يُرجعون الفرع إلى الأصل، أما ما كان على أصله فإنّه لا حديث فيه عن البنية التقديرية، ولا عن التحويل؛ حيث يقول عبد الرحمان حاج صالح:" وهناك فرق جدير بالذكر، فقد التزم النحاة برفض التقدير إذا جاء على ما يقتضيه بابه ... فكلما اتفق اللفظ في ظاهره مع الأصل فلا كلام فيه، وهذا بخلاف

ما يزعمه تشومسكي، حين عمّم مفهوم التحويل التقديري، وجعل لكلّ لفظ ظاهر بنية عميقة ذات دلالة."[27]

ومن هنا يتّضح الهدف الذي سعى إليه عبد الرحمان حاج صالح، وهو:" ربط التراث العربي الأصيل بأحدث ما ينتجه العلم الحديث، ومما هو مجمع على صلاحيته."[28] فيعطي بذلك للقارئ العلم الصحيح (الشامل و المصفّى) .

4. 3 مدى تمثّل عبد الرحمان حاج صالح للنظرية البراجماتية، وطريقة تقديمها للقارئ العربي:

لقد اهتم كثير من الباحثين العرب بهذا الاتجاه اللساني الجديد، ويعتبر عبد الرحمان حاج صالح واحدا من أوائل اللسانيين الذين كانت لهم بصمة علمية في استلهام مفاهيم النظرية التداولية، وتقديمها للقارئ العربي بالشرح والتحليل، إذ أفرد كتابا خاصّا لدراسة النظرية البراجماتية سماه: " الخطاب والتخاطب في نظرية الوضع والاستعمال العربية " وحاول فيه استخلاص المحاور الكبرى للبراجماتية في نظرية التخاطب العربية، ورصد أهم الفروق الكائنة بين البراجماتيك والرؤية العربية للخطاب، ومن ذلك ملاحظته بأنّ: " الكثير من العلماء الغربيين يجعلون البراكماتيك ميدانا قائما بنفسه، ومن ثمّ جعلوه دراسة علمية تقابل التراكيب والدلالة، وهذا صحيح من حيث إنّ الأدلة ومدلولاتها شيء واستعمالها شيء آخر، إلا أنهم جعلوا أيضا كلا من التراكيب والدلالة ميدانا قائما برأسه كما جاء في ثلاثية موريس، وللعلماء العرب نظرة أخرى هي أدق وأجمع؛ لأنها لا تفصل بين الأركان الثلاثة بسبب خصوصية كل واحد منها كما يفعل موريس وبيرس، بل يجمعون التراكيب والدلالة؛ أي اللفظ والمعنى، وينظرون فيهما معا من وجهتين: الوضع والاستعمال."[29]

وزاد ذلك توضيحا بتقريره بأنّ العرب قديما: "... لم تفصل بين اللفظ والمعنى من جهة الوضع والاستعمال، بخلاف الثلاثية الغربية: تركيب/ دلالة/ استعمال (أو لفظ/ معنى/ استعمال)، التي يقابلها عند قدماء النحاة ثنائية ركناها: وضع اللغة واستعمالها لفظا

ومعنى، فلا ينفرد اللفظ والمعنى بل يوجدان ضرورة في كل من الوضع والاستعمال، ولا يوجدان إلا فيهما."[30]

وفي تقديمه لنظرية الاستلزام التخاطبي الذي جاء بها بول كرايس" P.Grice "، والذي أبرز من خلالها دور الاستدلال في التخاطب وأهميته، ودور الدلالة العقلية، وقد ذكر عبد الرحمان حاج صالح أنّ "سيبويه" كان يستعمل عبارة: " يستدل المخاطب ب" في نفس المعنى الذي يقصده "كرايس" للدلالة إلى طبيعة وغير طبيعة، والتفريق بينهما، وجد هذا عند القدماء ومنهم الفلاسفة العرب الذين اعتمدوا في ذلك على أساس الإرادة، فلا دلالة للكلام إلا بقصد ونية[31]، وهذا التفريق أيضا موجود عند البلاغيين، والفقهاء، وعلماء أصول الفقه الذين تحدّثوا عن خروج اللفظ من دلالته الطبيعية إلى دلالته المستلزمة (غير الطبيعية)، وبمرجعيّته المزدوجة بين التراث والحداثة عدّ عبد الرحمان حاج صالح النظرية البراكماتية بكل محاورها ومرتكزاتها أقرب نظرية إلى الرؤية العربية للخطاب.

فالمتلقي للكتابة اللسانية التمهيدية (التيسيرية) عند عبد الرحمان حاج صالح يتعلم في الحقيقة مفاهيم النظريات اللسانية الغربية، ومفاهيم النظرية اللغوية العربية، والتي تختلف كل واحدة منهما عن الأخرى في الأسس الإبستيمولوجية التي انبنت عليها، مما تجنب القارئ المبتدئ الوقوعَ في كثير من اللَّبس الذي يصعب معه فهم اللسانيات الغربية، فضلا عن العربية.

لقد كانت قراءة حاج صالح للنظريات اللسانية الغربية قراءة واعية، امتازت بالنقد والغوص في أعماق ما كتب في الساحة اللسانية الغربية، ثم تمحيصها تمحيصا دقيقا قبل تقديمها للقارئ العربي، مع محاولة إثبات سبق علماء اللغة العربية القدامى، وإبراز مقدرتهم بل وتفرّدهم في العديد من المسائل. فالقارئ للكتابة اللسانية عند عبد الرحمان حاج صالح يتعلّم النظريات اللسانية الغربية، ويتعلم النظرية اللغوية العربية.

إذن: العلاقة بين اللسانيات الغربية واللسانيات العربية عند عبد الرحمان حاج صالح هي علاقة تكامل؛ وفي ذلك يقول:" بعد أن استضأنا بما أتت به اللسانيات لفهم عبارات المتقدّمين من النحاة، انعكست هذه الأشياء في البحث، فأصبحنا نستضيئ في

كثير من الأحيان بالنظريات والمفاهيم الخليلية الأصيلة، لفهم بعض الأسرار التي ما تزال عند أكثر الباحثين غامضة."[32]

5. خاتمة:

كان عبد الرحمان حاج صالح ذا مرجعية مزدوجة، ربط بها بين المنجز النحوي العربي الأصيل، والفكر اللساني الغربي المعاصر، مما مكّنه من صياغة نظرية لسانية عربية استوفت معايير النظرية العلمية في مفاهيمها ومنهجها وآلياتها الإجرائية، سمّاها: النظرية الخليلية.

ولم يرفض عبد الرحمان حاج صالح التجارب اللسانية الحديثة في العالم الغربي، بل كان يسعى إلى البحث عن العلم الصحيح، فكان يستضيئ بمبادئها الصحيحة، ويطرح الخاطئة؛ إذ عمل على غربلة المفاهيم اللسانية الغربية، وتمحيصها تمحيصا علميا دقيقا، قبل أن يقدّمها للقارئ العربي المبتدئ.

وإنّ القارئ للكتابة اللسانية التمهيدية عند حاج صالح يتعلم: النظريات اللسانية الغربية، ويتعرّف على أهم الهَنات التي وقع فيها منظّروها، وأهم نقاط التقاطع والالتقاء بينها وبين الرؤية اللغوية العربية التي تعادل أو تفوق في كثير من الأحيان التصوّرات الغربية.

وخلَص عبد الرحمان حاج صالح إلى أنّ النظرية التوليدية التحويلية تتقاطع مع النظرية النحوية العربية (نظرية العامل النحوي)، في منهجها، كما خلص إلى أنّ النظرية البراجماتية الحديثة هي أقرب نظرية إلى الرؤية العربية للخطاب.

ولم يخطئ عبد الرحمان حاج صالح الغايةَ التي ترومها الكتابة اللسانية التمهيدية؛ إذ حرَص على تزويد القارئ العربي المبتدئ بالمبادئ العلمية الصحيحة، واستبعد الخاطئة قديمة كانت أم حديثة.

- **6. هوامش البحث:**

[1] الزايدي بودرامة، النظرية الخليلية وحدودها المائزة، مجلة الآداب والحضارة الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، الجزائر، عدد17 جوان 2014م،ص65.

[2] عبد الرحمان حاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، موفم للنشر، الجزائر،2012م، ج1،ص208.

[3] ينظر: حافظ إسماعيلي العلوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة- دراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقي وإشكالاته-، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، 2009م، ص137.

[4] حافظ إسماعيلي العلوي، المرجع نفسه، ص137.

[5] عبد الرحمان حاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1،ص20.

[6] عبد الرحمان حاج صالح، المرجع نفسه ، ج1،ص228.

[7] حافظ إسماعيلي العلوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة- دراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقي وإشكالاته-، ص99.

[8] حافظ إسماعيلي العلوي، المرجع نفسه، ص105.

[9] عبد الرحمان حاج صالح، الخطاب والتخاطب في نظرية الوضع والاستعمال العربية، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الرغاية، الجزائر، 2012م، ص9.

[10] عبد الرحمان حاج صالح، المرجع نفسه، ص8.

[11] عبد الرحمان حاج صالح، المرجع نفسه، ص9/8.

[12] الزايدي بودرامة، النظرية الخليلية وحدودها المائزة، ص66.

[13] محمد كمال بلخوان، تأصيل البحث الساني في نظر الدكتور عبد الرحمان الحاج صالح، مجلة اللسانيات،ج24، العدد2، 2018م، ص77.

[14] ينظر: عبد الرحمان حاج صالح، الخطاب والتخاطب في نظرية الوضع والاستعمال العربية، ص202.

[15] فردينان دي سوسور، علم اللغة العام، تر: بوئيل يوسف عزيز، دار آفاق عربية، بغداد، 1985م، ص27.

[16] فردينان دي سوسور، المرجع نفسه، ص32.

[17] عبد الرحمان حاج صالح، الخطاب والتخاطب في نظرية الوضع والاستعمال العربية، ص202.

[18] عبد الرحمان حاج صالح، المرجع نفسه، ص203/202.

[19] عبد الرحمان حاج صالح، المرجع نفسه، ص204.

[20] عبد الرحمان حاج صالح، البحث اللغوي وأصالة الفكر العربي، ص20.

[21] فردينان دوسوسور، دروس في علم اللسان العام، نقلا عن عبد الرحمان الحاج صالح، البحث اللغوي وأصالة الفكر العربي، ص20.

[22] عبد الرحمان حاج صالح، البحث اللغوي وأصالة الفكر العربي، ص20.

[23] ينظر: عبد الرحمان حاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج2، ص34.

[24] عبد الرحمان حاج صالح، الخطاب والتخاطب في نظرية الوضع والاستعمال العربية، ص207.

[25] عبد الرحمان حاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، ص91.

[26] ينظر: عبد الرحمان حاج صالح، المرجع نفسه، ج1، ص215.

[27] عبد الرحمان حاج صالح، المرجع نفسه، ج1، ص105.

[28] صالح بلعيد، مقاربات مناهجية، دار هومة، الجزائر، 2014م، ص149.

[29] عبد الرحمان حاج صالح، الخطاب والتخاطب في نظرية الوضع والاستعمال العربية، ص215.

[30] عبد الرحمان حاج صالح، المرجع نفسه، ص215.

[31] ينظر: عبد الرحمان حاج صالح، المرجع نفسه، ص236/235.

[32] عبد الرحمان حاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ص17.